الجمعيات الخيرية: نور على الدرب

من لطف الله على عباده أنه من عليهم بفضل منه ورحمة بنشأة هذه الجمعيات الخيرية فى تلك الآونة التى أفرزت حكومات أعطت ظهرها للطبقات الفقيرة التى عانت وتعانى من مشقات الحياة بما لا قبل لها بمواجهته والتغلب عليه، لقد بلغ من عوز هذه الطبقات أنها تتعقب صناديق القمامة لعلها تجد فى جوانبها بعض ما يؤكل وما يسد الرمق.

ولقد أسفر عن تلك الظاهرة شيوع السرقات وفقد الأمن فى الشوارع والطرقات والاعتداء بخطف حقائب السيدات والتهديد ليلا ونهارا على راكبى السيارات والأتوبيسات وزاد الطين بلة بالاعتداء على الأطفال بنين وبنات.

ونتج عن ذلك أيضا فسخ كثير من عقود الزواج للعجز الشديد عن نفقاته وجهل الناس بسماحة الإسلام الذى يحث على الاقتصاد فى تلك النفقات بقوله صلى الله عليه وسلم «التمس ولو خاتما من حديد» وكان عليه السلام يدعو إلى الزواج بتحفيظ جزء من القرآن الكريم ولو كان قليلا.

نشأت هذه الجمعيات وثمة اتجاهات سياسية تربط بين السياسة ومفهوم التبرع لأعمال الخير، فالمرشح لمنصب سياسى يشترى بماله أصوات الناس ويحملهم حملا على توجيه أصواتهم للوجهة التى يريدها، ولا يخفى ما يستتبع ذلك من تدهور خلقى وفساد اجتماعى، والحيلولة بين الإصلاح والتقدم.

نشأت هذه الجمعيات فى تلك الفترة الزمنية التى تعرض فيها التدين لحرب شعواء فالأصوليون والسلفيون متهمون بالإرهاب والجمود والتخلف.. وسرعان ما يزج بهم فى السجون والمعتقلات حيث يسومون سوء العذاب.

نشأت هذه الجمعيات فى فترة فقدت فيها الدول العربية حريتها وكرامتها بالتبعية البغيضة لدول تشعل نار الخلاف بين الطبقات وتسعى سعيا حثيثا لتحقيق مصالحها غير المشروعة ببسط نفوذها السياسى، والاجتماعى، والهيمنة على كل نواحى الحياة.

نشأت هذه الجمعيات والعالم العربى مبعثر القوى فالجامعة العربية عجزت عجزا كبيرا عن حل أية مشكلة من المشكلات التى جدت على الساحة، حتى قيل إنها أصبحت أداة لبسط نفوذ الدول ذات المصالح والتى تسعى جاهدة إلى بث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد لتتمكن من تحقيق مآربها.

نشأت هذه الجمعيات فى تلك الفترة الزمنية التى عجزت فيها الدول العربية عن حل مشكلة البطالة فالجامعات تخرج كل عام أعدادا غفيرة لا تجد لها طريقا إلى العمل حيث عجزت الدولة عن فتح منافذ العمل، واتجهت إلى خصخصة المصانع والبنوك والشركات وبالتالى سعت تلك البنوك وتلك الشركات إلى التخلص من العمالة الزائدة فتراكمت أعداد الشباب الذين لا يجدون عملا وضاقت عليهم سبل العيش ووسائل الحياة وانضمت هذه الأعداد الكثيرة إلى العصابات وقطاع الطرق، واستخدام الوسائل غير المشروعة فى الحصول على لقمة العيش.

نظم التعليم:

ومما يؤسف له أن نظم التعليم لا تتيح الفرصة لمن يتم تعليمه فى الجامعة أن يجد العمل الذى يناسبه، والذى يؤهله له ما حصله من شهادة، وأكثر من ذلك لا يؤهله للاعتماد على نفسه فى ايجاد العمل الذى يحترفه، ذلك لأن العملية التعليمية لا تشجع على الابتكار والاعتماد على النفس، فهم الطالب ينحصر فى الإعداد للنجاح والحصول على الدرجات، ووسيلته فى ذلك الملخصات التى يعدها له المدرس الخاص، فلا مجال للقراءة الحرة، والرجوع إلى المراجع التى تعود على الاعتماد على النفس وما إلى ذلك مما اتجه إليه التعليم الآن فى الدول المتقدمة بل إن بعض البلاد العربية قد قطعت شوطا فى ذلك حتى نافست فى مسيرتها التعليمية الدول الغربية والأمريكية.

وقد أطلعت على كلمة أعدها د. حسين كامل بهاء الدين الذى كان وزيرا للتربية والتعليم مدة طويلة، قالها فى افتتاح الملتقى التشاورى والاقليمى حول تعزيز الشراكة مع المجتمع المحلى لخدمة التعليم للجميع فى القاهرة ٨/١١ مارس ٢٠٠٣ وقد ركز فى هذه الكلمة على ما يلى:

١. الدعوة إلى الصحوة العلمية حيث كنا فى وضع علمى غير مسبوق وأصبحنا فى مؤخرة القوم يفصل بيننا وبين الدول التى تفرض إرادتها علينا مساحة زمنية هائلة.

٢. الذى يستحوذ على فكرنا الآن هو الرصيد المادى وإهمال رصيد العلم والمعرفة وهو أمر مخجل

٣. نظرتنا إلى العلم - بكل أسف - نظرة موسمية تهمل الأركان الحقيقية للعلم والمعرفة.

٤. يجب النظر للعلم على أنه عمل مستمر لا يتوقف عند حفظ معلومات وتقويم متقطع ينتهى بانتهاء مرحلة تعليمية معينة.

٥ - ضرورة المشاركة العامة مع المجتمع المدنى بحيث تبدو بصماته فى هذه القضية

٦. التعاون العربى يقرب المسافة للوصول إلي الهدف

هذا التحليل العلمى الدقيق لمسيرة التعليم فى بلادنا والمأزق الخطير الذى يلم به - يصدر من رجل مارس الإشراف على التعليم أكثر من عشر سنوات.

وانحدر التعليم فى زمنه إلى أقصى غايات الانحدار فالمدارس تكاد تغلق أبوابها لتحل محلها منازل الطلاب التى تحولت إلى مدارس خاصة، وأصبح هم الطلاب قراءة ملخصات يعدها لهم المدرسون الخاصون، ليتمكنوا بها من النجاح فى الامتحان وسادت الكتب الإضافية، وفقدت الأسر كل دخلها على تلك الدروس ولم يتمكن السيد وزير التربية آنذاك من أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام بالتعليم فهل كان السيد الوزير شأنه شأن المدرسين الخاصين يلخص ما يجرى للتعليم فى أوروبا وأمريكا دون إرادة صادقة للسير إلى الأمام بالتعليم ولو بخطوة واحدة.

أقول: لقد جاءت هذه الوثبة بالجمعيات الأهلية فى وقت خطير جدا فاحتضنت عددا كبيرا من أبناء الفقراء المعدمين وقدمت لهم بعضا مما يحتاجون إليه من موارد الحياة وحظيت بعض هذه الجمعيات بثقة الناس فبذرت بذور الخير التى نمت وأثمرت وآتت أكلها، والحديث يطول عن أثر هذه الجمعيات والدور العظيم الذى قامت به مما ينبغى أن تفرد له دراسة خاصة فى صفحات قادمة إن شاء الله.

بقلم:

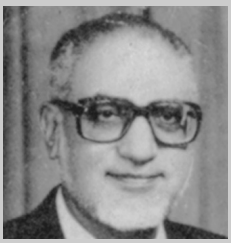

د. محمد إبراهيم نصر

رئيس جمعية مدينة نصر للخدمات